الحياة المعيشية والاقتصادية للعلماء في العصر المملوكي ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ

أ . م . د عمار مرضي علاوي

الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

يهدف البحث الى دراسة الحياة المعيشية والاقتصادية للعلماء في العصر المملوكي في ضوء بيان أهمية العمل عندهم ، وطبيعة الاعمال التي تناسب مكانتهم . فمن العلماء من كان يمتهن التجارة بكافة أنواعها سواء تجارة الكتب والبيع والشراء ، ومنهم من احترف الصناعة والخياطة وغيرها من المهن . وهناك طائفة أخرى من العلماء تقلدت الوظائف الرسمية في الدولة سواء الدينية كالقضاء والحسبة ونظر الاوقاف وغيرها ، أو حتى الوظائف الديوانية التي هي الوزارة ونظر بيت المال وكاتب السر . ومن خلال هذه الاعمال والوظائف نستطيع بيان المستوى المعيشي لهؤلاء العلماء الذي لم يكن مستقراً عند حد معين فتارة يكون عالياً وأخرى منخفضاً نظراً لطبيعة الاعمال وأثر الاوضاع الاقتصادية عليهم .

Abstract

The research aim to debate the living and economical standards for scholars in the Mamalik period in the light of showing the importance of work to them , and the nature of jobs that fist in to their positions .jobs practiced by scholars varied and included the field of trade whether in books as well as buying and selling , some specialized industry and sewing etc. other group of scholars and scientists worked in government official posts weather religious like judicial , Hesba and endowments etc. even worked within ministries and spectating assets house and secretary . Throughout these jobs and occupations filled we can show the living standard for these scholars knowing that the standard wasn't quite steady at a certain level since its once reached high levels and other times degraded due to the nature of professions itself and the effect of economic situation upon it .

المقدمة

حفل العصر المملوكي بالعديد من العلماء الذين ذاع اسمهم في مختلف البلاد التي ذهبوا اليها ، أو حتى كتبهم المتداولة هناك. والمفهوم السائد أنّ هؤلاء العلماء قد سخروا أنفسهم للنهل من العلوم الشرعية ، ثم القيام بواجب التدريس والخطابة وغيرها من القضايا الشرعية التي أوجبها الشرع الحنيف . وقد يكون هذا المفهوم لفئة معينة من العلماء الذين أوقفوا أنفسهم لخدمة الاسلام والدفاع عنه ، دون المساس بقضايا المهن و الحرف ؛ لكن في المقابل هناك العديد من العلماء اختاروا نهجاً لأنفسهم من خلال المشاركة في الحياة اليومية ، بمعنى الانخراط في مفاصلها والحصول على مصادر الرزق سواءً بالمهن والحرف ، أو عن طريق الوظائف الرسمية في دولة المماليك. وهذا البحث هو محاولة الاجابة لفهم النمط المعيشي لبعض العلماء بمفهومه الواسع ، ابتداءً بالسؤال عن الاعمال التي اختارها العلماء في سبيل المعيشة ، وهل تناسبت مع مكانتهم؟ ثم هل هذه الاعمال قد حققت المطلوب برفاهية المعيشة لهم؟. فضلاً عن ذلك معرفة العلماء الذين التحقوا بالوظائف الرسمية في الدولة، وهل جاء توظيفهم لمصلحة عامة ، أم هناك مصالح أخرى ، وما هي سيرتهم في تلك الوظائف؟. أخيراً وليس آخراً مستوى المعيشة لهؤلاء العلماء في ضوء المهن والحرف التي امتهنوها ، والوظائف التي شغلوها.

كل هذه الاسئلة هي محل اهتمام الدراسة التي نحاول جاهدين الاجابة عليها وفق المنهج التاريخي بالاعتماد على مجموعة كبيرة من كتب التراجم التي تناولت سير هؤلاء العلماء .

المبحث الاول : المهن والحرف التي زاولها العلماء

بداية الأمر يجب القول أن العلماء لم يكونوا على مستوى واحد من حيث المكانة ودرجة العلو في العلم، فضلاً عن قوة التأثير في المجتمع . كل هذه المؤشرات تعطي دلالة أن العلماء الذين اختاروا الاندماج في المجتمع من خلال الاعمال المهنية والحرفية لم تسعفهم المكانة أو الحظوة لدى الدولة لأن يكونوا ضمن الجهاز الاداري ، أو حتى أنهم فضلوا الابتعاد عن الاحتكاك بالدولة بعيداً عن الشبهات كي يبقى سجلهم ناصع البياض مع قساوة المعيشة . لذلك نجد أن هناك عدداً ليس بالقليل قد امتهن الاعمال والحرف سبيلاً للعيش أياً كانت طبيعة العمل ومدى تناسبها ومكانتهم الاجتماعية .

التجارة: كما هو معلوم أن التجارة من أشهر المهن والحرف التي عرفها العرب قبل الاسلام ، وحتى في الاسلام ، بل أن قسماً من الصحابة والخلفاء قد عملوا فيها . لذلك كانت مهنة احترافية للعديد من العلماء على مر العصور ، واشتهر بها عدد منهم ، ودرَت عليهم الارباح والثروة والجاه ، فمن العلماء الذين كانوا يزاولون مهنة التجارة ، علي بن أحمد بن إسماعيل القطان الحنبلي الدمشقي (ت ٧٠٩ هـ) الذي كان تاجراً في بيع الموازين بمدينة الرحبة ، وكان له حانوت عرف به هناك[١]. وأحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم شهاب الدين العزازي (ت ٧١٠ هـ) كان من الأدباء البارعين والشعراء المعروفين ، وفضلاً عن ذلك كان تاجراً مشهوراً في قيسارية جهاركس بالقاهرة[٢] . وناصر بن محمد بن ناصر الكيلاني (ت ٧١٣ هـ) كان تاجراً معروفاً وهو من التجار السفَار، الذي كان يسافر كثيراً لأجل التجارة ، ويعد من أعيان التجار الذين تركوا نعمة وثروة[٣] . وبدر الدين ابراهيم بن عمر بن غنائم الصابوني (ت ٧١٤ هـ) شيخ جليل ، وهو من التجار المشهورين بسوق الزيادة ، ثم ترك السوق وعمل بتجارة الصابون حتى أنه ربح منها أموالاً استغلها بشراء الاملاك[٤]. وابراهيم بن عمر بن المهذب الواسطي (ت ٧١٥ هـ) كان تاجراً سفاراً معروفاً بالأمانة والديانة، ويروى أنه كان كثير السفر في تجارته للبلاد البعيدة حتى أنه وصل الى بلاد الخطأ[٥]. ومحمد بن عبد الرحيم بن عباس بن أبي الفتح القرشي (ت٧٢٠ هـ) محدث دمشقي، كان تاجراً معروفاً يسافر للتجارة وتحصل منها ربحاً كثيراً استغله بشراء بستان في دمشق[٦]. وعبد الرحمن بن الحسن بن يحيى اللخمي القبابي (ت٧٣٤ هـ) من دمياط تفقه على مذهب الإمام أحمد ، ثم انتقل الى حمص وعمل بها في صناعة الفاخور ، ومن أمانته أنه كان ينصح المشتري على عيبة الشربة ، ثم انتقل الى حماة وعمل فيها تاجراً في القماش[٧]. وهذا الفعل يدل على تمسك التجار بمبدأ الامانة والنصح الذي خطه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بضرورة تحلي التاجر المسلم بالصدق .

وعلي بن أحمد بن محمد بن صالح العرضي (ت ٧٦٤هـ) من المحدثين المشهورين في دمشق والاسكندرية ، كان من التجار المشهورين في دمشق ووصف بأنه من الثقات[٨] . وأحمد بن محمد بن عبد الله الانصاري (ت ٧٧٣ هـ) من أهل القاهرة ، كان يخالط القضاة ويدرس في المساجد ، وكان تاجراً معروفاً فضلاً عن عمله في الزراعة فحصل له مال كثير ، حتى أنه قام بمشاركة القضاة في التجارة ، ومن ضمن أعماله الخيرية التدريس بمشيخة سعيد السعداء بلا مقابل واعماره للمنارة[٩]. ومن التجار محمد بن مسلم بن

حسين بن مسلم ناصر الدين البالسي (ت ٧٧٦ هـ) امتهن التجارة في مصر منذ ريعان شبابه ، حتى كثر ماله وتعددت أسفاره للبلاد في التجارة ، وقام بإرسال عبيده للتجارة الى بلاد الهند والحبشة والتكرور ، فنمى ماله وصار يضرب به المثل[١٠]. ومن ضمن مآثره انشاؤه المدرسة المسلمية الواقعة بمدينة مصر بخط السيوريين ، وأوقف عليها أوقافاً ، وأوصى أن يكون فيها مدرس مالكي ومدرس شافعي ، ومؤدب أطفال ، وله أيضاً مطهرة عظيمة بقرب جامع عمرو بن العاص حتى أن نفعها كان كبيراً ، وكانت له صدقات جليلة لجماعة من الناس[١١] . وأبو بكر بن عبد الله بن مقبل التاجر الحنفي (ت ٨٠٥ هـ) كانت له معرفة بالفقه والعربية ، حتى أصبح مفتياً ومدرساً ، امتهن تجارة البز في القاهرة[١٢] . وبرهان الدين المحلي ابراهيم بن عمر بن علي (ت ٨٠٦ هـ) الذي يروى أنه من ذرية الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) ، وكان تاجراً مشهوراً حتى انتهت اليه رئاسة التجار في وقته ، فقد سافر في التجارة الى بلدان عديدة منها الشام واليمن حتى كثر ماله وتوسعت تجارته ، ومن أعماله الخيرية بناءه مدرسة مليحة ومكتب سبيل ، وقام بتجديد عمارة جامع عمرو بن العاص **((وبذل في ذلك مالاً جزيلاً ، ونهض فيه بنفسه وذويه أتم نهضة ، فشكر الله مسعاه ، وبيَض في عرصات القيامة محيَاه))**[١٣] . وصف بأنه ذو حشمة ومروءة وصاحب خير ومعروف[١٤] . وابراهيم بن عبد الوهاب بن عبد السلام بن عبد القادر القاهري الحنبلي (ت٨٦٧ هـ) كان من المحدثين فقد سمع صحيح البخاري وسنن الدارمي ، وصف بأنه من التجار الخيرين الحريصين على الخير والقربات[١٥]. وأحمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن أحمد بن منصور الرملي الشافعي (ت ٨٧٧ هـ) أخذ علوم العربية والاصول والحديث على علماء الشام ، ثم تفرغ للتجارة فعمل بتجارة الصابون وكان مشهوراً محموداً في سيرته[١٦] . وأحمد بن عبد القادر بن محمد بن طريف النشاوي القاهري الحنفي (ت٨٨٤ هـ) نشأ في حفظ القرآن الكريم وقراءة كتب الصحاح وغيرها في مدينة القاهرة ، ثم احترف مهنة السراسيج في مدينة الاسكندرية وكانت له عدة حوانيت، واستغل ذلك في تدريس الطلبة بعد أن أصبح وجيهاً بين الناس[١٧] . وهذا يعني أن العلماء كانوا حريصين على تدريس العلم وعدم الانشغال بالتجارة عنه . وابراهيم بن أحمد بن حسن بن أحمد العجلوني (ت٨٨٥ هـ) التقى بأحد علماء القدس ونهل منه حتى أصبح مدرساً ، يعد من تجار الحنطة في القاهرة ، وكان يسعى في بر الطلبة[١٨].

ومحمد الشمس بن المرضعة (ت٨٨٩ هـ) كان من أهل العلم ، عمل في تجارة الخيول حتى أنه ربح منها كثيراً وكثرت أملاكه ، فقام ببناء مدرسته الواقعة بخط الحجارين بالقرب من دار الخلافة[١٩]. وأحمد بن علي بن محمد بن نصر الله الدركواني الحموي الحنبلي المقرئ (ت ٨٩٥ هـ) كان من أهل العلم المشهود لهم في حماة، واشتغل بالتجارة على وجه جميل[٢٠] .

ومن خلال عرض سير العلماء الذين كانوا يحترفون التجارة نجد أن الاحوال المعيشية لهم كانت بأفضل حال ، وذلك في ضوء التجارات التي جنوا منها اموالاً طائلة ، والثروات والاملاك التي خلفوها جراء الارباح في التجارة . ويمكن القول أن هؤلاء هم أقل شريحة تعرضت للفقر أو مستوى متدني من المعيشة ، لأن غالب التجارة كانت مربحة ومدرة عليهم بالثروات ، إلّا في جالة الكوارث والازمات .

العطارة: تعد مهنة العطارة من المهن التي تدخل في بيع الطيب والاعشاب الطبية وما يتعلق بالأمور الجمالية التي يقبل عليها الناس للتطيب والتجمل ، والتي نالت اقبال الناس عليها لما لها من رائحة طيبة على الشخص الذي يستخدمها . ومن العلماء الذين عملوا كعطارين منهم علاء الدين علي بن الحاج نجم الدين أيوب بن محمد بن أبي الورد البقاعي (ت ٧١٤ هـ) من العلماء العدول ، كان عطاراً بباب البريد في دمشق[٢١]. وأحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٧٣ هـ) من أهل دمشق وممن أخذ العلوم على أهلها ، إلّا أن أحالته المعيشية لم تكن بحالة يسمح له بالغنى فاضطر الى أن يفتح له دكاناً للعطور بباب السلام [٢٢] .

تجارة الكتب: من المهن التي عكف عليها العلماء في سبيل سد معيشتهم وتحسين حالهم ، تجارة الكتب التي امتهنها بعضاً من العلماء وذلك لتماسها مع وظيفتهم العلمية في الافادة من الكتب . ومنهم شمس الدين محمد بن اسماعيل بن أبي الحسن الأنصاري الكتبي (ت ٧١١ هـ) الذي كان من تجار الكتب المعروفين في الشام، وكان حانوته مليء بالكتب التي يحسنها فضلاً عن ذلك كان يبيع الحبر ويستأجر الكتب[٢٣] . وهذا يعني أن الدكاكين كانت واحدةً من مصادر الجمع بين التجارة والعلم ، فمن باب التجارة بها ومن آخر الافادة في قراءتها. ومن تجار الكتب عبد المؤمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن العجمي (ت ٧٤١ هـ) من أهل حلب كان يحب العلم ويتعلمه ، ثم سافر الى القاهرة واحترف تجارة الكتب التي درَت عليه أموالاً طائلة ، وكان صاحب فضل وتودد[٢٤] . ومنهم أيضاً عبد اللطيف بن عبد العزيز بن يوسف الحراني الشافعي (ت ٧٤٤ هـ) كان عالماً في النحو واللغة والمعاني والبيان والقراءات ، ومع هذا كان تاجراً في الكتب لاسيما كتب العربية ، حتى أنَ كتبه وصلت الى حلب والقاهرة[٢٥] . ولعل ولع العلماء في تجارة الكتب يأتي ضمن اهتمامهم البالغ في إيصال أعداد كبيرة من الكتب لمدن واسعة تكون مقرونة بأسمائهم أو حتى الشهرة في تلك التجارة .

نسخ الكتب: من المهن المهمة على الصعيدين العلمي والاقتصادي ، فمن الجانب العلمي وصول الكتب لمناطق عديدة من العالم الاسلامي وشهرتها ، ومن الجانب الاقتصادي تحسين المعاش للعلماء الذين يمتهنون النسخ ، فقد كان لهم حضور فاعل في مهنة النسخ التي عدت من أشهر الاعمال الحرفية وذلك لتماسها بالعلم والمؤلفات العلمية ، فضلاً عن سهولة مزاولتها .

ومنهم أحمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن الدمشقي (ت ٧١١ هـ) من الفقهاء الشافعية ، كان خطه حسن جداً فاستغله في مهنة النسخ ، فكان ينسخ بالأجرة العديد من الكتب[٢٦] . وشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن أحمد النويري (ت ٧٣٢ هـ) كان فقيهاً ومؤرخاً بارعاً ، ولم يكتف بذلك بل عمد الى مهنة النساخة فكان يكتب الخط المنسوب حتى أنه كتب صحيح البخاري ثمان مرات ، ويبيع كل نسخة منه بألف درهم ، الامر الذي جعله يكتب كل يوم ثلاث كراريس[٢٧] . وأحمد بن محمد بن أحمد بن عرندة المحلي (ت ٨٣٠ هـ) من قرى مصر الغربية ، درس الفقه على المذهب الشافعي ، كان خطه مليحاً فكان ذلك دافعاً لامتهان النسخ حتى قيل بحقه **(فكتب من كتب الفقه والتفسير والحديث وغيره ما يجلّ عن الوصف)**[٢٨] . وخليل بن أحمد بن جمعة الغرس الحسيني الشافعي (ت ٨٤٧ هـ) من أهل القاهرة درس على مجموعة من العلماء ، عمل نساخاً للكتب فقد كتب بخطه الكثير من الكتب وكان في ذلك قانعاً بما يأخذه[٢٩] . وأحمد بن أحمد بن محمود بن موسى الشهاب

المقدسي الدمشقي (ت ٨٦٥ هـ) حفظ القرآن الكريم منذ صغره ، ودرس القراءات على مشيخ القس حتى برع فيها وتصدى لها ، ثم انتقل الى الشام وهناك تكسب في كتابة المصاحف وكان مشهوراً في ذلك حتى قصده الناس من مختلف البلاد [٣٠] وابراهيم بن علي بن أحمد الاخناني (ت ٨٧٣هـ) من أهل القاهرة ، حفظ القرآن في في صغره ودرس على مشايخ عصره في الفقه والفرائض والحساب ، فضلاً عن تعلمه الخط وبرع في على يد الزين بن الصائغ ، فكان ذلك مهنة له في نسخ الكتب المتعددة حتى أنه عمل نسخ عديدة من كتاب البخاري حت أنه باع النسخة الواحدة منه بخمسين ديناراً [٣١]. وعلى الرغم من سهولة العمل في هذه المهنة إلّا أنها لم تخل من الصعوبة في انجاز العمل ، إذ يتطلب العمل لساعات طويلة فضلاً عن الجهد الذي يبلغه العالم في سبيل الانجاز .

مهنة الخياطة وملحقاتها: تعد هذه المهنة قياساً بالمهن الاخرى أقلَ مكانة وحظوة ، لكنها في نفس الوقت تحتاج الى خبرة ومهارة واتقان في العمل . ومن العلماء الذين مارسوا مهنة الحرفية كالخياطة والصناعة وغيرها ، فمن الخياطين زين الدين عمر بن أبي بكر بن عبد الله الخوارزمي (ت ٧١٣ هـ) كان خياطاً ماهراً في دمشق حتى أنه عرف بالمعلَم[٣٢]. وصالح بن مختار بن صالح المصري (ت ٧٣٨ هـ) قرأ على علماء عصره وأفاد منهم ، كان موصوفاً بصلاحه وتقواه ، مع ذلك كان يعمل خياطاً في القاهرة [٣٣] . ومحمد بن أحمد بن يوسف المعلم (ت ٨٢٦ هـ) من الخياطين المعتبرين في دمشق ، وكان يعطي دروساً للخياطين **((يقترح على الخياطين فنوناً يكتبهم فيها))**[٣٤]. ومن بين المهن التي عمل فيها العلماء الحياكة وهي حياكة الثياب ، ومن هؤلاء أبو بكر بن عبد البر بن محمد الشيخ المعتقد (ت ٧٩٧ هـ) اشتغل في بداية أمره بطلب العلم والدراسة على علماء دمشق ، ولم يمنعه ذلك من العمل في حياكة الثياب للناس على الرغم من أن السلطان الظاهر برقوق أعطاه مال جزيل لكنه رفض تعففاً وزهداً [٣٥] .

الصناعة: أيضاً من المهن التي تدل على الحرفية والتفنن في الاعمال ذات الصلة بصناعة الاشياء الضرورية والتكميلية في حياة المجتمع ، لذلك كان لبعض العلماء حضور فيها من خلال المشاركة في صناعة تلك الاحتياجات . ومن الذين اشتهروا بمزاولة الصناعة موسى بن علي بن محمد المشهور بابن البصيص (ت ٧١٦ هـ) من أهل حماة كان يجيد الكتابة بخط حسن ، وبرع في صناعة الاقلام كلها حتى أنه صنع قلماً سماه المعجز انتفع به أهل دمشق ، ومع ذلك لم يترك العمل فكان يزرع بستانه ، وكذلك كان يمتهن البناء فكان يضرب اللبن ويبني بيده[٣٦] . وعبد الرحمن بن الحسن بن يحيى القبابي (ت ٧٣٤ هـ) من قرية قباب التابعة لدمياط ، تفقه على مذهب الامام أحمد بن حنبل ، ثم انتقل الى حمص وهناك عمل في صناعة الفاخور التي يتكسب منها رزقه ، ومن أمانته أنه ينصح المشتري لعيوب الشربة [٣٧] . وأحمد بن محمد بن ابراهيم بن أحمد بن علي القاهري الشافعي (ت أواخر ٨٠٠ هـ) حفظ القرآن الكريم في صغره وأخذ العلوم الشرعية على علماء القاهرة وغيرها ، وكان لأبيه الفضل في تعليمه حتى برع في تلك العلوم ، ولم يكتف بذلك بل عمد الى تعلم مختلف الصناعات فبرع في صناعة الحبر والنشابة (السهام) ونحوهما ، ولعب الدبوس والرمح ، حتى تفنن في سبك النحاس ونقل المبارد وعمل ريش الفصاد والزركش [٣٨] .

مهن متعلقة بالحرفية : هذه المهن هي مكملة لمهن أخرى مثل الصناعة وملحقاتها ، وهي أيضاً لا تتناسب ومكانة العلماء في المجتمع لكن الحالة المعيشية الجأتهم لها . ومن العلماء أحمد بن موسى بن نصير بن الشهاب القاهري المالكي (ت ٨٣٠ هـ) كان من المجتهدين في طلب العلم، وعرف بأنه ذو خط حسن ، الأمر الذي ساعده في احتراف صناعة كتابة التواقيع للقضاة وتحصل من ذلك أجوراً كثيرة[٣٩] . وأحمد بن محمد بن خليل بن هلال بن حسن الشهاب الحلبي الحنفي (ت ٨٦٠ هـ) أفاد من والده في تحصيل العلوم واشتهر بها ، لكنه لم يتول القضاء مثل اخوته وفضل العمل في صناعة الحرير بواسطة عقد الازرار[٤٠] . وأحمد بن محمد بن عيسى بن موسى بن عمران الدمشقي الشافعي (ت ٨٦٧ هـ) حفظ القرآن الكريم في صغره ، وأخذ العربية والاصول من علماء دمشق وتصدى للفقه ، لكنه سرعان ما اعتزل مجالس الفقهاء واحترف في عمل الفولاذ فكان في ذلك معروفاً بطيبته وكرمه[٤١] . ويبدو أن هذه الفئة من العلماء لم تكن بنفس أحوال أقرانهم من العلماء المشتغلين بالتجارة ، وذلك لمحدودية عملهم فضلاً عما تدره من أرباح لا تتناسب وطبيعة عملهم .

مهنة الطب: على الرغم من أن الطب يختص بفئة معينة درست علم الطب وتفننت به ، إلَا أن ذلك لم يمنع عدد من العلماء في الابداع فيه وتقديم المساعدة للمرضى فضلاً عن ما تدره عليهم من أرباح. ومن الاطباء المشهورين في الشام مجد الدين سنجر الطبيب (ت ٧١٥ هـ) كان طبيباً فاضلاً برع في مهنته حتى تقدم فيها نحو الشهرة ، فجاءته منها أموالاً جمة[٤٢] . وعلي بن عبد الواحد بن محمد بن صغير(ت ٧٩٦ هـ) يعد رئيس الاطباء في الديار المصرية ، كان ماهراً في تشخيص المرض واعطاء العلاج وشفي على يديه الكثير، وللفقراء نصيب من كرمه فكان يأخذ منهم فلساً على علاجه ، فضلاً عن اقراضه للمال لمن يحتاجه[٤٣]. ومن الاطباء أحمد بن اسماعيل بن عبد الله الملقب بشهاب الدين الحريري (ت ٨٠٩ هـ) كان عارفاً بالنحو والفروض والمعاني والبيان فاضلاً في الطب ، ولما كان السلطان الظاهر برقوق مريضاً قام أحمد بعلاجه وتمكن من كشف علته فبرأ ، لذلك قام السلطان بالإنعام عليه حتى زال فقره[٤٤].

ولم يكتف بعض العلماء من تعلم الطب ، بل ذهبوا أكثر من ذلك فكان لهم إرادة في تعلم تفاصيل الطب من ذلك الجراحة ، ومنهم محمد بن ابراهيم بن بركة العبدلي الدمشقي (ت ٨١١ هـ) الذي كان من الادباء المعروفين ، ومع ذلك امتهن الجراحة فكان جراحاً يعالج الجرحى لاسيما في فترات هجوم المغول على دمشق[٤٥]. ومن الكحالين أيوب بن نعمة بن محمد بن نعمة المقدسي الدمشقي (ت ٧٣٠ هـ) درس على يد علماء بلده ، وروى كثيراً في مصر والشام ، وكان حكيماً كحالاً تمرس على معلمه طاهر الكحال ، حتى برع فيها وتميز وربح منها الكثير[٤٦] . إنَ هذه الأعداء غير القليلة من العلماء الذين مارسوا مختلف المهن والحرف يدل على أن طبيعة المجتمع في العصر المملوكي كان بحاجة ماسة لمثل هذه الاعمال ، فضلاً عن أن الاحتراف لم يكن مقتصراً على فئة العلماء بل تعداه لشرائح مختلفة ، لكن التركيز كان على العلماء دون غيرهم .

المبحث الثاني- الوظائف الرسمية

على الرغم من وجود علماء اختصوا في امتهان المهن والحرف والرضى بهذه المعيشة ، كانت هناك فئة أخرى من العلماء لم ترض بهذه الحالة فوجدوا لأنفسهم حالة معيشية خاصة بهم من خلال توليهم الوظائف

العامة في الدولة المملوكية ، ذلك حسب قربهم من السلاطين ورجالات الدولة ، أو حتى لشهرتهم في ميدان العلم . لذلك حفلت الدولة المملوكية بعدد من العلماء الذين خلدوا اسماؤهم فيها سواءً الدينية أم الديوانية . ويندرج تحت هذا المسمى نوعان من الوظائف ، الوظائف الدينية التي تعنى بإدارة مجموعة من القضايا والمرافق التي لها علاقة وثيقة بالجانب الديني . أما النوع الثاني فهي الوظائف الديوانية التي تعنى بإدارة العديد من المرافق الحيوية في إدارة الدولة ومؤسساتها .

أولاً ـ الوظائف الدينية: تولى عدد من العلماء مختلف الوظائف الدينية في الدولة المملوكية ، وكان للبعض مكانة وحظوة لدى السلاطين في ضوء كفاءته وحسن إدارته. فمن الوظائف التي تولاها العلماء **وظيفة قضاة القضاة**[٤٧] التي تعد أرفع وظيفة في العصر المملوكي ، ومن بين مهامه التحدث في الاحكام الشرعية والفصل بين الخصوم ، فضلاً عن النظر في الاوقاف وتزويج الايامى ، كذلك تعيينه للنواب والموقعون والشهود [٤٨] .

ومن بين الذين تولوا هذه الوظيفة ابراهيم بن علي بن أحمد بن يوسف بن ابراهيم ابن عبد الحق الحنفي (ت ٧٤٤ هـ) كان إماماً فقيهاً ومصنفاً ، وكان يفتي ويدرس فانتفع به طلبة العلم ، ومن شهرته أن استدعاه السلطان الناصر قلاوون في سلطنته الثالثة (٧٠٩ ـ ٧٤١ هـ) الى القاهرة سنة ٧٢٨ هـ وولاه قاضي القضاة الديار المصرية وكان حسن السيرة [٤٩]. وابراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المنعم نجم الدين الطرسوسي الحنفي (ت ٧٥٨ هـ) نشأ في دمشق ونهل من علوم الشريعة على علماءها ، وتصدر للإفتاء والتدريس حتى أنيطت له مهمة قاضي القضاة الحنفية في دمشق وحمدت سيرته فيها ، وبقي في ذلك أربعين سنة [٥٠] . ومجد الدين أبو محمد اسماعيل بن ابراهيم الكناني البلبيسي (ت ٨٠٢ هـ) الذي تولى تعليمه على العديد من العلماء في القاهرة ، حتى أصبح معروفاً بالفقه والحديث ، وذاع صيته في مجال التأليف ، الامر الذي دفع بالسلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ ـ ٨٠١ هـ) أن يقوم بتعيينه سنة ٧٩٢ هـ قاضياً لقضاة الحنفية ، وكان متشدداً في الاحكام وفي قبول الشهود [٥١] . وصدر الدين محمد بن ابراهيم المناوي (ت ٨٠٤ هـ) الذي أصبح قاضي القضاة سنة ٧٧٩ هـ وكان شافعي المذهب ، وكانت سيرته في ذلك محمودة لا يساوم على الحق أحداً ، فعندما طلب منه السلطان برقوق أن يقرضه من أموال الايتام رفض طلبه ، فكان ذلك سبباً في عزله [٥٢] .

وكان لبعض القضاة موقف يسجل في ميزان حفظ الامانة وعدم الخوف من السلطان ، فعندما طلب السلطان الناصر محمد قلاوون من القاضي شمس الدين الحريري (ت ٧٢٨ هـ) أحد القضاة الحنفية أن يوافق على استبدال الاوقاف حسب المذهب الحنفي ، لأن السلطان أراد أن يلحق بقصره والاصطبل قطعة ارض من بركة الفيل كي تكون متسعة له ولأمرائه ، فرفض القاضي وأفهم السلطان حرمة ذلك **((فلما رأى كثرة ميل السلطان الى أخذ الارض ، نهض من المجلس مغضباً وصار الى منزله))**[٥٣] . وهنا سجل العلماء في منصب القضاء منقبة لهم بعدم الميل عن الحق ومداراة السلطان على حساب العدالة التي تطلبها القضاء ، على الرغم من وجود بعض السلبيات في هذا المنصب ، لكن الاعم الاغلب النزاهة والعدالة .

ومن الوظائف وظيفة **افتاء دار العدل** [٥٤] التي تولاها بهاء الدين محمد بن أحمد بن علي السبكي (ت ٧٦٤ هـ) حفظ القرآن العظيم من صغره ودرس على علماء عصره ، كان مشهوراً بعفته وتقواه وعدالته [٥٥] .

وأحمد بن صالح بن أحمد بن خطاب البقاعي الدمشقي الشافعي (ت ٧٩٥ هـ) تلقى العلوم على يد علماء دمشق حتى برع في الفقه وتصدر للتدريس والفتوى ، فكان ذلك كافياً ليتولى الافتاء بدار العدل وتخرج على يديه العديد من الفقهاء ، وانتهت اليه رئاسة الفتوى والفقه في مدينة دمشق [٥٦] .

ومن الوظائف التي شغلها العلماء **نظر الاحباس المبرورة** [٥٧] التي تولاها أحمد بن أبي بكر بن عرام الاسواني الاسكندراني الشافعي (ت ٧٢٠ هـ) أخذ العلم عن جماعة من علماء مصر ، ومن شدة تقواه وورعه تولى نظر الاحباس في مدينة الاسكندرية [٥٨] . وتاج الدين محمد بن محمد المليجي (ت ٧٩٦ هـ) كان معروفاً بتدينه وحبه لفعل الخير حتى لقب بصائم الدهر[٥٩]. وتاج الدين عبد الوهاب بن نصر الله بن حسن الفوي (ت ٨٢٠ هـ) الذي تولى هذه الوظيفة بكل جدارة حتى أنه ناب عن قضاة الحنفية[٦٠] . كذلك وظيفة **وكالة بيت المال**[٦١] التي اختص متوليها بالإشراف على الوصايا التي ترفع اليه ، فضلاً عن اشرافه على أموال الودائع وأملاك بيت المال . وهذه الوظيفة أسندها سلاطين المماليك لعلماء مشهورين ، منهم القاضي قطب الدين محمد بن علي السنباطي (ت ٧٢٢ هـ)[٦٢] . وممن تولاها أيضاً مجد الدين حرمي بن قاسم المصري (ت ٧٣٤ هـ) فضلاً عن كونه قاضياً تولى وظيفة وكالة بيت المال ، وصف بالخيرية والنسك ، حتى قيل أنه قل أن يموت أحد من الامراء الاكابر إلّا وأسند وصيته اليه [٦٣] . ومحمد بن موسى بن محمد بن الشهاب بن فهد الحلبي (ت ٨١٢ هـ) سكن القاهرة وتولى فيها وظيفة وكالة بيت المال بدمشق لمدة طويلة ، وكان معروفاً بجسارته واقدامه [٦٤] .

ومن الوظائف الدينية **ناظر الاوقاف** التي توسعت في العصر المملوكي وأصبحت وظيفة لها شأن كبير لأن مهمة متوليها الحفاظ على الاوقاف واحصاء ايراداتها وتدبير أمورها وسجلت المصادر أسماء العديد من العلماء الذين تولوا هذه الوظيفة ، منهم أيوب بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة الله بن النحاس الاسدي الحلبي الحنفي (ت ٦٩٩ هـ) كان فضلاً عن تدريسه في المرسة القليجية ناظراً للأوقاف [٦٥] .

وصالح بن أحمد بن عمر أبو النسك الشافعي الحلبي المعروف بابن السفاح (ت ٧٧٩ هـ) من القضاة المشهورين في حلب ، ويعد من رؤساءها، حتى تقلد عدة وظائف لعل أشهرها وكالة بيت المال ، وكان صاحب كرم وفضل [٦٦] . والقاضي علاء الدين بن أقبرس (ت ٨٦٢ هـ) الذي تولى هذه الوظيفة سنة ٨٤٣ هـ بأمر من السلطان جقمق(٨٤٢ ـ ٨٥٧ هـ) الذي كان صاحبه قبل توليه السلطنة [٦٧] .

وعرفت الدولة المملوكية وظيفة نظر ديوان الاسرى[٦٨] التي تولاها عز الدين الاسعردي الاصل البعلبكي المولد (ت٦٧٠ هـ) في دمشق ، ووصف بأنه ((**من الصدور الأماثل خبيراً بالكتابة وصناعة الحساب قيماً بها**))[٦٩] . ومحمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بأبن الصائغ (ت ٦٨٢ هـ) وصف بأنه كان من العدول ، تولى عدة وظائف منها نظر الاسرى [٧٠] .

كذلك وظيفة الحسبة التي حظيت باهتمام العلماء وتطبيقهم لمبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وممن تولاها ضياء الدين يوسف بن أبي بكر المشهور بالضياء ابن خطيب بيت الابار الشامي (ت ٧٦٠ هـ) الذي قبلها بعد الحاح السلطان الناصر قلاوون سنة ٧٣٦ هـ ، وكان مثالاً للكفاءة والعفة من خلال عمله ، وأول ما بدأ

به نزوله لمصر بصحبة شاد الدواوين وقام بختم شون الامراء كلها لحين قدوم الغلال الجديدة ، وأشهد السماسرة والامناء والكيالين أن لا تفتح شونة إلّا بأذنه ، فضلاً عن اجباره للطحانين ببيع الاردب بثلاثين درهماً ، فلم يجرؤ أحد على البيع بأكثر من ذلك [٧١] .

وعلي بن ابراهيم بن أسد المصري علاء الدين الاطروش الحنفي (ت ٧٥٨ هـ) من العلماء المعروفين سمع على جماعة من العلماء وحدث عن آخرين ، تولى حسبة دمشق سنة ٧٤٣ هـ وكن فيها مهاباً ونزيهاً ، ثم تولى حسبة القاهرة سنة ٧٤٥ هـ ، وبقى يتنقل بين حسبة دمشق والقاهرة حتى مات وهو محتسب القاهرة [٧٢] . وابراهيم بن عدنان بن جعفر بن محمد بن عدنان بن الحسن الدمشقي (ت ٧٩٧ هـ) سمع في دمشق على عدد من العلماء ، حتى أنه تولى حسبة دمشق وحمدت سيرته فيها ، حتى قيل عنه **((كان رئيساً نبيلاً حشماً فخراً من بيت سؤدد ورئاسة))**[٧٣] .

كما عرفت الدولة المملوكية **وظيفة المواريث الحشرية** [٧٤] التي تولاها رشيد الدين الحرشي الرقي الشافعي (ت ٧١١ هـ) إذ تولى هذه الوظيفة في دمشق ، وكان موصوفاً بالعقل والصيانة عن الحرام [٧٥] . كذلك وظيفة ناظر الزكاة التي يختص متوليها بالإشراف على الزكاة ووسائل تحصيلها من المسلمين ، وممن تولاها عماد الدين بن الفضل محمد بن شمس الدين الشيرازي (ت ٦٨١ هـ) [٧٦] .

ويبدو أن الوظائف الدينية كانت للعلماء بامتياز على اعتبار أنهم خير من يمثل تلك الوظائف التي لها صلة بالأمور الشرعية التي تتطلب معرفة تفاصيل أحكامها وما يجب على الشخص المسؤول فعله من أجل صيانتها والمحافظة على ديمومتها .

ثانيا ـ الوظائف الديوانية : جاءت هذه الوظائف لتسيير مرافق الدولة ومتابعتها وتطوير الادارة فيها ، وتنوعت تلك الوظائف وتعددت بالنسبة للعلماء الذين تقلدوها وكان لهم مكانة فيها . ولعل أولى الوظائف الديوانية التي تقلدها العلماء هي **الوزارة** على الرغم من انعدام أهميتها بسبب مزاحمة المماليك للعلماء في هذا المنصب ، فضلاً عن ظهور منصب نائب السلطنة الذي شغل تلك الوظيفة ، كذلك الغاءها في أوقات محدودة كما في سلطنة الناصر قلاوون عندما فعل ذلك سنة ٧٣٧ هـ [٧٧] .

ومن بين العلماء الذين تولوا الوزارة بدر الدين السنجاري ، والقاضي ابن بنت الاعز في سنة ٦٥٥ هـ من قبل السلطان المنصور قلاوون [٧٨] . وابراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد فخر الدين الشيباني الاسعردي (ت ٦٩٣ هـ) كان من أهل العلم وحدث عن جماعة من العلماء ، تولى الوزارة للسلطان الملك السعيد (٦٧٦ ـ ٦٧٨ هـ) ، ثم بقي في الوزارة في سلطنة المنصور قلاوون (٦٧٨ ـ ٦٨٩ هـ) ، وصف بأنه كان محسناً للرعية [٧٩] . وتولاها فتح الدين بن القيسراني(ت ٧٠٣ هـ) من أهل حلب ونزل في القاهرة ، كان معروفاً بالفضائل والآداب مع عنايته بالحديث الشريف ، لذلك كانت سيرته قد سبقته ليوليه السلطان الملك السعيد منصب الوزارة [٨٠] .

ويبدو أن منصب الوزارة لم يكن ذا فائدة بحكم وجود مناصب قد جردته من واجباته واختصاصاته ، وهذا ما حدث في سلطنة الاشرف إينال(٨٥٧ ـ ٨٦٥ هـ) الذي طلب في سنة ٨٥٩ هـ من العلماء أن يختاروا له وزيراً ، فكلما يطلب من أحدهم يعتذر حتى وقع اختياره على سعد الدين فرج بن النحال ، الذي رفض المنصب لانعدام وظيفته ولقلة المتحصل وزيادة النفقات ، وألح عليه السلطان فرض ثانيةً حتى كان جزاءه الضرب المبرح فأجبر على تولي الوزارة [٨١] .

وجاءت وظيفة **ناظر النظار** مثابة الشريك للوزير في التعرف على الامور المالية ، وكانت له صلاحيات مقاربة لصلاحيات الوزير ، لكنه يبقى تابعاً له [٨٢] . ولعل من أشهر من تولى هذه الوظيفة ضياء الدين يوسف أبي بكر بن محمد المشهور بالضياء ابن خطيب بيت الابار الشامي (ت ٧٦٠ هـ) الذي تولاها سنة ٧٣٤ هـ وكان ناهضاً أميناً [٨٣] . وكريم الدين عبد الكريم بن سعد الدين بركة المعروف بابن كاتب جكم (ت ٨٣٣ هـ) [٨٤] .

كذلك وظيفة **استيفاء الصحبة**[٨٥] التي تولاها مكين الدين ابراهيم بن قروينة (ت ٧٥٠ هـ) الذي كان من أعيان الكتاب ورؤسائهم ، الذي ولاه السلطان الاشرف شعبان (٧٤٦ ـ ٧٤٧ هـ) [٨٦] . وتاج الدين عبد الله بن سعد الدين نصر الله بن البقري (ت ٨٠٨ هـ) الذي تولى الوظيفة سنة ٧٨٣ هـ [٨٧] .

ومن الوظائف الديوانية المحدثة **ناظر الخاص** التي استحدثها السلطان الناصر قلاوون سنة ٧١٣ هـ ، وكان متوليها مختصاً بمال السلطان والخزانة السلطانية بقلعة الجبل [٨٨] .

وممن تولاها عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري كريم الدين أبو الفضائل الكبير (ت ٧٢٤ هـ) الذي بلغ من الوجاهة والتقدم عند السلطان الناصر قلاوون ما لم يبلغه أحد غيره ، وكان لا يصرف شيء يطلب من السلطان إلَا بقلمه ، وكان كريماً يساعد المحتاجين ويفك عنهم شدتهم [٨٩] . وموسى بن أبي اسحاق عبد الوهب بن عبد الكريم (ت ٧٧١ هـ) ولي نظر الخاص سنة ٧٣١ هـ في سلطنة الناصر قلاوون لكنه لقي عداوة من قبل منافسيه حتى اتهموه بالسرقة والاستيلاء على أموال السلطان ، وكان التحريض من عبد الوهاب النشو الذي حل مكانه ، وبقي مسجوناً فترة تلقى فيها ألوان العذاب ، حتى استدعاه السلطان الناصر أحمد بن السلطان الناصر محمد قلاوون (٧٤٢ ـ ٧٤٣ هـ) وكتب له كتاباً بتوليته ناظر الخاص [٩٠] . وكريم الدين كاتب جكم (ت ٨٣٣ هـ) الذي اتصل بخدمة السلطان الاشرف برسباي (٨٢٥ ـ ٨٤١ هـ) وتنقل في الوظائف ، حتى قلده نظر الخاص ، وكان فيها مشكور السيرة متواضعاً كريماً ، فقيل عن حقبته **((ومشى حال الخاص في أيامه حتى قيل إنه منذ ولي الخاص إلى أن توفي لم يبطل الواصل عنه يوماً واحداً مبالغة))**[٩١] .

كذلك وظيفة **ناظر الدواوين** [٩٢] التي تولاها كريم الدين الصغير (ت ٧٢٦ هـ) في سلطنة الناصر محمد قلاوون ، وصف بأنه **((كان كاتباً ضابطاً ، ذا سطوة ومهابة على الكتاب ، لا يحابي أحداً ، ولا يدع أحداً يلتمس شيئاً))**[٩٣] .

ومن الوظائف الاخرى **نظر بيت المال**[٩٤] التي تولاها الشيخ كمال الدين أبو اسحاق ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل الاسكندري المقرئ (ت ٦٧٦ هـ) الذي كان عارفاً بالقراءات ، وتنقل في العديد من الوظائف منها نظر بيت المال والاحباس في سلطنة الملك السعيد[٩٥] . ومحمد بن أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين الشهير بابن بنت الاعز (ت ٧٦٢ هـ) كان من أعيان البلد وتولى وظيفة بيت المال، وكان محمود السيرة [٩٦].

وتولى العلماء وظائف متعددة ومتنوعة منها وظيفة **ديوان المفرد** [٩٧] ومنهم صلاح الدين خليل بن زين الدين عبد الرحمن بن الكويز (ت ٨٢٣ هـ) [٩٨] . وعبد الكريم بن عبد الرزاق بن عبد الله بن عبد الوهاب بن كاتب المناخ (ت ٨٥٢ هـ) الذي تولى هذه الوظيفة سنة ٨٢٧ هـ فضلاً عن منصب الوزارة ، وكان معروفاً بكفاءته لذلك طالت مدة وظيفته [٩٩] .

وتقلد العلماء وظيفة **كاتب السر** [١٠٠] منهم القاضي شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله بن جمال الدين فضل الله القرشي العمري (ت ٧١٧ هـ) تولى كتابة السر في عصر السلطان الاشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ ـ ٦٩٣ هـ) الذي منعه من القيام لأي أحد مهما كانت رتبته لفضله ، وتولى كتابة السر أيضاً في سلطنة الناصر قلاوون في سلطنته الثانية حتى قيل عنه ((**كاتباً أديباً مترسلاً كتب المنسوب الفائق ومتع بحواسه لم يفقد منها شيئاً ولم تتغير كتابته، ومات وهو جالس ينفذ بريد إلى بعض النواحي**))[١٠١] . وعبد الواحد بن اسماعيل بن ياسين القاضي أوحد الدين بن تاج الدين الحنفي المصري (ت ٧٨٦ هـ) كان فقيهاً عالماً ، ولاه السلطان الظاهر برقوق وظيفة كاتب السر بالديار المصرية سنة ٧٨٤ هـ فكان اميناً في ذلك حتى قيل في حقه ((**كان ذا فضيلة وعرفان، وحسن سياسة وإحسان، ورياضة وأخلاق، وجميل إرفاق، وحذق في أمور الدنيا وأحوالها، وصدق في أعمال الآخرة وأقوالها، وكانت له مشاركة في كل منظوم ومنثور**))[١٠٢] .

ومن الوظائف المرتبطة بكتابة السر وملحقاتها وظيفة **كاتب الدست** [١٠٣] التي تولاها عدد من العلماء منهم عماد الدين اسماعيل بن محمد بن الصاحب فتح الله القيسراني (ت ٧٣٦ هـ) الذي كان كاتباً للدست بقلعة الجبل [١٠٤] . وخليل بن آيبك الشيخ صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) على الرغم من شهرته كمؤرخ إلّا أنه تولى الوظائف المتعددة في الدولة المملوكية ومنها كتابة الدست في دمشق حتى وفاته [١٠٥] . ومحمد بن ابراهيم بن محمد نجم الدين الدمشقي (ت ٧٩٣ هـ) الذي تنقل في وظائف عديدة في مصر وبلاد الشام ، حتى تقلد توقي الدست لمدة من الزمن [١٠٦] .

وتقلد العلماء وظيفة **كاتب الدرج**[١٠٧] . ومنهم كمال الدين أحمد بن أبي الفتح بن محمود بن فتيان المعروف بابن العطار (ت ٧٠٢ هـ) الذي كان كاتب الدرج في مدينة دمشق ، قيل عنه ((**كان صدراً كبيراً فاضلاً ، له نظم ونثر ، وأقام يكتب الدرج أربعين**)) [١٠٨]. والقاضي فتح الدين محمد بن بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عقيل الشافعي (ت ٧٨٩ هـ) كان من موقعي الدرج في الديار المصرية ، ووصف بأنه من الفضلاء المعدودين [١٠٩] .

ومن الوظائف الاخرى **ناظر الجيش** [١١٠] التي تولاها جمال الكفاة (ت ٧٤٥ هـ) وكان فيها من المقدمين لدى السلاطين [١١١] . وكذلك جمال الدين محمود القيصري الذي تولاها للسلطان الظاهر برقوق سنة

٧٩١ هـ [١١٢] . ومحمد بن عبد الله بن عبد العزيز النستراوي (ت ٧٩٨ هـ) من الاعيان في القاهرة ، باشر عدة وظائف في الجيش المملوكي حتى ترقى الى ناظر الجيش وبقي فيها حتى وافاه أجله [١١٣] . والقاضي زين الدين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقي (ت ٨٥٤ هـ) الذي تولى ناظر الجيوش المصرية في عصر السلطان الظاهر ططر (٨٢٤ هـ) [١١٤] .

ومن خلال دراسة الوظائف الديوانية ثمة ملاحظة على الجهاز الاداري المملوكي أنه كان قابلاً للتطور والتوسع حسب حاجات المجتمع ، وهذا واضح من خلال الوظائف المتعددة التي لم تكن موجودة في سابقاتها من الدول ، وهذه خصلة ايجابية لتلك الدولة التي لبت جميع متطلبات العصر والانفتاح على نظام المؤسسات سواء الادارية أم السياسية .

وعند الحديث عن مستوى المعيشة للعلماء ، وفي ضوء استعراض الحياة المعيشية والاقتصادية للعلماء من خلال تتبع الاعمال التي زاولوها ، فضلاً عن الوظائف التي تقلدوها نجد أن مستوى المعيشة لم يكن على مستوى واحد ، فتارة يكون المستوى طبيعياً عاش فيه العلماء بنوع من النعيم والغنى ، وأخرى كان فيه العلماء المتضرر الاكبر جراء غلاء المعيشة . وهذا نابع من طبيعة المجتمع المملوكي الذي ذكر المقريزي[١١٥] مستويات المعيشة على سبعة مستويات ، كان العلماء في المرتبة الخامسة . وهذا يعني أن العلماء تذيلوا ترتيب الفئات ذات الدخل المتنوع ، بمعنى أنهم أسوأ حالاً من بقية الشرائح .

ولإثبات هذه الفرضية نجد أن بعض العلماء كانت لديهم وجهة نظر في قبول تولي الوظائف الرسمية مخافة تلوث أيديهم في الحرام أو حتى الشبهة ، فآثروا حياة البساطة والزهد ، بل حتى البحث عن المهن والحرف لسداد المعيشة [١١٦] .

وهذا لا يعني أن العلماء الذين امتهنوا المهن والحرف كان مستوى المعيشة لديهم متدني ، بالعكس فقد سجلت المصادر التاريخية عدداً من العلماء الذين كانت لديهم ثروات طائلة من وراء التجارة وبعض المهن ، فناصر الكيلاني كان من التجار الذين تركوا نعمة وثروة ، والحال نفسه مع بدر الصابوني تاجر الصابون الذي اشترى الاملاك جراء تجارة الصابون[١١٧] .

كذلك تمتع العلماء بمستوى معيشي يليق ومكانتهم في المجتمع منهم على سبيل المثال عبد المؤمن العجمي الذي كان يتاجر بالكتب وخلّف ثروة طائلة ، وأحمد الانصاري الذي كانت له مشاركات واسعة في أعمال الخير والاحسان كبناء المساجد والمدارس [١١٨] .

وفيما يخص المستوى المعيشي للعماء الذين تقلدوا وظائف في الدولة المملوكية نجد أن هناك تفاوتاً بينهم وذلك بحسب طبيعة العمل ومقدار الراتب ، فضلاً عن تعرض البعض منهم الى المصادرة بعد العزل . فمثلاً كان مقدار الراتب الذي يتقاضاه القاضي سنة ٧٢٥ هـ ستة عشر ألف وخمسمائة درهم شهرياً [١١٩] ؛ بينما بلغ الراتب سنة ٨١٩ هـ عشرة آلاف درهم [١٢٠] . وقد كان راتب الوزير مائتي وخمسين ديناراً [١٢١] ، وتقاضى ناظر الدواوين مرتباً قدره أربعمائة درهماً[١٢٢] .

وعلى الرغم من الحياة المعيشية التي شهدها العلماء والثراء والرخاء الذي تنعموا به لم يكن مستمراً أو بالأحرى دائماً ، ذلك أن الرواتب التي تقاضاها العلماء لم تكن تكفي لسد حاجاتهم لاسيما في القرن التاسع الهجري الذي شهد تدني المرتبات وغلاء المعيشة ، وقد عبر المقريزي[١٢٣] على حالتهم بالقول **((فهم ما بين ميت أو مشتهي الموت ، لسوء ما حلَ بهم ، فإنَ أحدهم إذا أتته مائة درهم مثلاً فإنَ ما يأخذ عنها فلوساً أو ثلثي مثقال ينفق ذلك فيما كان ينفق فيه من قبل عشرين درهماً من الفضة ، فلحقهم من أجل ذلك القلَة والخصاصة ، وساءت أحوالهم))** .

فيروى أن القاضي مجد الدين البلبيسي (ت ٨٠٢ هـ) بعد عزله من وظيفته ضاقت حالته ، حتى أن السلطان برقوق كان يتصدق عليه [١٢٤] . بل تعدى الامر أبعد من ذلك أن اضطر أحد العلماء وهو محي الدين يحيى بن سيف الدين السيرامي (ت ٨٤٣ هـ) وهو شيخ المدرسة الظاهرية ، أن يهاجر خارج مصر طلباً للمعيشة وتحسين حالته المعيشية ، مما حدا بالسلطان شيخ المحمودي (٨١٥ ـ ٨٢٤ هـ) عندما سمع بحالته أن منعه من السفر وأكرمه غاية الاكرام [١٢٥] .

ولا أبلغ من وصف عبد الرحمن بن الخراط (ت ٨٤٠ هـ) وهو من الفقهاء المعروفين ومن كتاب الانشاء ، عندما مثل الحياة المعيشية لفئة العلماء المتردية من خلال أبيات شعرية ، فيذكر أوراقه المقطعة وملابسه المتواضعة ومسكنه البسيط ، فجاءت هذه الابيات معبرة عن تلك الحالة :

عندي جلود بلا ورق كتب عتق من درسها قلبي احترق بنار فكر
مرقعة من النطوع ايش هذا القطوع أصولها مع الفروع كلو هدر
ولي قميص كلوا هبا من الصبا لو مر بو ريح الصبا كان انتشر
ولي بويت في المدرسة ملان فسه بقدر بخش الخنفسة من الصغر[١٢٦] .

الخاتمة

بعد الانتهاء من عرض الحياة المعيشية والاقتصادية للعلماء في العصر المملوكي ، خلصت الدراسة لمجموعة من النتائج .

١ ـ شكل العلماء في العصر المملوكي رقماً كبيراً في الحياة اليومية من خلال المشاركة والاندماج في المجتمع .

٢ ـ عند الحديث عن الحياة المعيشية نجد أن العلماء لم يكونوا على مستوى واحد في الاثر والمكانة ، فهناك من العلماء ما كان ملازماً للسلطان ويتمتع بحظوة لديه ، الامر الذي ساعده في تحسين حالته المعيشية . في حين أن هناك من العلماء من لم تسعفه المكانة لدى السلاطين فاكتفى بحياة التقشف والبساطة .

٣ ـ لا يمكن الحكم على طبيعة الحياة المعيشية والمستوى الاقتصادي للعلماء في حادثة معينة أو وظيفة ، فالعلماء الذين اكتفوا بالمهن والحرف لم يكونوا معارضي الدولة أو من ليست لديهم علاقات وطيدة للتقرب لهم والدخول في نعمة العيش ، وإن كان هذا الرأي موجود ، لكن هناك من العلماء من زهد بنفسه وفضل العيش في هذه الاعمال بعيداً عن شبهات الاعمال الحكومية .

٤ ـ في حين كان قسم من العلماء ذوي الجاه عند السلطان يتمتعون بحياة رغيدة من خلال الوظائف التي شغلوها، وهذا لا يعني أنهم حادوا عن الصواب أو انجروا خلف رغبات السلطان ، بل كانوا على قدر المسؤولية وأثبتوا كفاءة ونزاهة .

٥ ـ على أن هذه الحياة المعيشية للعلماء لم تكن مطلقة أو ثابتة ، فبمجرد عزلهم عن الوظائف تكون حياتهم معرضة للخطر وتحت مستوى الفقر إلّا من رحم ربي ، لأنه لم يعد له عمل يعتاش به . في حين أن العلماء ذوي المهن والحرف لم يتعرضوا لهزات كبيرة كونهم خطوا لأنفسهم عملاً يناسب مكانتهم ومستوى معيشتهم .

هوامش البحث

(١) البرزالي ، القاسم بن محمد بن يوسف (ت ٧٣٩ هـ) :المقتفي على كتاب الروضتين ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، ط ١ (بيروت : ٢٠٠٦ م) ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ٤١١ .

(٢) ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ) : المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق أحمد يوسف نجاشي ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة : ١٩٥٦م) ، ج ١ ، ص ٣٦٢ .

قيسارية جهاركس : نسبة لبانيها الامير الصلاحي جهاركس بن عبد الله من أكابر الامراء الايوبيين ، بناها سنة ٥٩٢ هـ في مدينة القاهرة ، أعجب التجار بها ووصفوا حسنها وعظيم إحكامها . ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن ابراهيم (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر (بيروت : د . ت)، ج ١ ، ص ٣٨١ ؛ المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية ، الناشر مكتبة الآداب (القاهرة : د. ت)، ج ٣ ، ص ١٥٩ .

(٣) البرزالي ، المقتفي على الروضتين ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٠١ .

(٤) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٧٠ .

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٨٢ . بلاد الخطأ :

(٦) ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق (القاهرة : ١٩٧٥ م) ، ج ٥ ، ص ٢٥٧ .

(٧) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤ هـ) : الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، ط ١ (بيروت : ٢٠٠٠ م)، ج ١٨ ، ص ٨٠ .

(٨) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٢٣ .

(٩) المصدر نفسه، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(١٠) المقريزي ، درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ، تحقيق الدكتور محمود الجليلي ، دار الغرب الاسلامي ، ط ١ (بيروت : ٢٠٠٢ م) ، ج ٣ ، ص ٢٢٩ .

(١١) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ، ج ٤ ، ص ٢٦٠ .

(١٢) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٢ .

(١٣) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١١٠ .

(١٤) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(١٥) السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، ط ١ (بيروت : ١٩٩٢ م) ، ج ١ ، ص ٧٣ .

(١٦) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٣٢٧ ؛ السيوطي ، نظم العقيان في أعيان الاعيان ، تحقيق فيليب حتي ، المكتبة العلمية (بيروت : د . ت) ، ص ٤٣ .

(١٧) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٣٥٢ .

(١٨) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٢ .

(١٩) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ، ص ١٠٦ ـ.

(٢٠) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٤٢ .

(٢١) البرزالي ، المقتفي على الروضتين ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٤٢ .

(٢٢) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

(٢٣) البرزالي ، المقتفي على الروضتين ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ٣٨ .

(٢٤) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٠٩ .

(٢٦) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١٠٣ .

(٢٧) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ٣٨١ .

(٢٨) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ١ ، ص ١٧٣ .

(٢٩) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ـ.

(٣٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٢٢٤ .

(٣١) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٣٢) البرزالي ، المقتفي على الروضتين ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٠٣ .

(٣٣) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٦١ .

(٣٤) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٤١ .

(٣٦) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٦ ، ص ١٤١ .

(٣٧) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

(٣٨) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ٦٦ .

(٣٩) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ـ.

(٤٠) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٤١) المصدر نفسه ، ج ٢ ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٤٢) البرزالي ، المقتفي على الروضتين ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٩٩ .

(٤٣) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٩٤ .

(٤٤) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ١ ، ص ١٨٢ .

(٤٥) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

(٤٦) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ٢٢٨ .

(٤٧) قضاة القضاة : يتكون هذا المنصب من أربعة قضاة وفقاً للمذاهب الاربعة ، الشافعي والحنفي ثم المالكي والحنبلي ، ويعد القاضي الشافعي أعلاهم مرتبة . القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) : صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة : د . ت) ج ٤ ، ص ١٩٩ .

(٤٨) النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) : نهاية الارب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة : د. ت) ، ج ٦ ، ص ٢٥٥ .

(٤٩) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ١٢٧ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

(٥١) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي (القاهرة: ١٤١٨ هـ) ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(٥٢) المقريزي ، السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت: ١٩٩٧م) ، ج ٥ ، ص ٣٥٤ .

(٥٣) المقريزي ، الخطط المقريزية ، ج ٣ ، ص ١٢٥ .

(٥٤) دار العدل : تعنى هذه الوظيفة بالفتوى في دار العدل بحضور صاحب الوظيفة بصحبة القضاة ، وهذه الوظيفة هي لثلاثة من القضاة الشافعي والحنفي والمالكي . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

(٥٥) السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ) : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، ط١ (القاهرة : ١٩٦٤ م) ، ج ٩ ، ص ١٢٥ .

(٥٦) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٥٧) نظر الاحباس : وهي وظيفة عالية المقدار موضوعها أن صاحبها يتحدث في الجوامع والمساجد والربط والزوايا والمدارس من الارضين المفردة من نواحي الديار المصرية على سبيل البر والصدقة لأناس معينين . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٩ .

(٥٨) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٥٩) المقريزي ، السلوك ، ج ٥ ، ص ٣٦١ .

(٦٠) المقريزي ، السلوك ، ج ٦ ، ص ٤٥٦ .

(٦١) وكالة بيت المال : وهي من الوظائف الجليلة التي لا يتولاها إلّا صاحب العلم والديانة ، تختص هذه الوظيفة التحدث فيما يتعلق بمبيعات بيت المال ومشترياته ، سواء كانت أراضي وغيرها . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٧ .

(٦٢) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

(٦٣) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٥ ، ص ٥٨ .

(٦٤) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ٣ ، ص ٢٨٩ .

(٦٥) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

(٦٦) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٦ ، ص ٣٢٤ .

(٦٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٧ ، ص ٤٥١ ؛ السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٥ ، ص ٢٩٢ .

(٦٨) نظر ديوان الاسرى : يختص هذا الديوان في الاشراف على الاوقاف التي تفدى بها الاسرى ، أي أن ريع هذه الاوقاف يصرف على فداء الاسرى . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ١٩٨ .

(٦٩) اليونيني ، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ) : ذيل مرآة الزمان ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ط ١ (الدكن : ١٩٥٤ م) ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ج ٤ ، ص ١٩٦ .

(٧١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

(٧٢) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٢ .

(٧٣) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٧٤) المواريث الحشرية : عبارة عن مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة وغيرها ، ويتولى هذا الناظر من قبل السلطان بتوقيع شريف ومعه مباشرون ، ويقوم هذا الموظف بالإشراف على هذه الاموال ، فضلاً عن كتابة تعريفاً بمن يموت في القاهرة والفسطاط . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٥٣٢ .

(٧٥) الصفدي ، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤ هـ) : الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، ط ١ (بيروت : ٢٠٠٠ م) ، ج ١٤ ، ص ٨٤ .

(٧٦) المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٧٧) المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٧٤ .

(٧٨) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط١ مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة : ١٩٥٦م) ، ج ٧ ، ص ٤٣ .

(٧٩) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٨٠) الصفدي ، الوافي بالوفيات ، ج ١٧ ، ص ٣١٧ .

(٨١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٦ ، ص ٨٦ .

(٨٢) العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ) : التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة (القاهرة : ١٩٨٥ م) ، ص ١٠٦ .

(٨٣) المقريزي ، السلوك ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ج ٧ ، ص ١١٣ .

(٨٥) استيفاء الصحبة : هي وظيفة جليلة رفيعة القدر ، وصاحبها يتحدث في الامور المالية سواء في مصر أم الشام ، وهذا الديوان هو أرفع دواوين الاموال وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية ، ويقع على عاتق الموظف فيها ضبط وتحرير أمور الدولة ومعرفة أصول الاموال ووجوه مصارفها . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٨٦) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٤٣ .

(٨٧) المقريزي ، السلوك ، ج ٥ ، ص ١٢٦ .

(٨٨) المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(٨٩) الصفدي ، الوافي ، ج ١٩ ، ص ٦٦ ـ ٦٩ .

(٩٠) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ٣ ، ص ٤٧٥ .

(٩١) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٧ ، ص ٣٣٥ .

(٩٢) ناظر الدواوين : صاحب هذه الوظيفة هو رأس الكل، وله الولاية والعزل، وإليه عرض الأرزاق في أوقات معروفة على الخليفة والوزير، وله الجلوس بالمرتبة والمسند، وبين يديه حاجب من أمراء الدولة ، وتخرج له الدواة من خزانة الخليفة بغير كرسيّ، وإليه طلب الأموال واستخراجها والمحاسبة عليها، ولا يعترض فيما يقصده من أحد من الدولة . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٣ ، ص ٥٦٦ .

(٩٣) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

(٩٤) نظر بيت المال : وظيفة التي تختص بحمل حمول المملكة الى بيت المال والتصرف فيه ، سواء بقبض الاموال أو صرفها أو حتى تسويغها ، وهذه الوظيفة لا يتولاها إلّا أهل العدالة والديانة . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٢ .

(٩٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ .

(٩٦) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٦٣ .

(٩٧) ديوان المفرد : هو الديوان المختص بما أفرد من البلاد لصرف غلتها على مماليك السلطان من رواتب وعليق وكسوة . دهمان ، محمد أحمد : معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط ١ ، دار الفكر (بيروت : ١٩٩٠ م) ، ص ٧٩ .

(٩٨) المقريزي ، السلوك ، ج ٧ ، ص ٢٢ .

(٩٩) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٧ ، ص ٣٤١ .

(١٠٠) كاتب السر : تختص هذه الوظيفة المهمة بقراءة الرسائل الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها ، وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، كذلك الجلوس بدار العدل لقراءة القصص والتوقيع عليها فضلاً عن مشاركة الوزير في بعض الامور . دهمان ، معجم الالفاظ التاريخية ، ص ١٢٧ .

(١٠١) الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) : فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، ط ١ (بيروت : ١٩٧٤ م) ج ٢ ، ص ٤٢١ .

(١٠٢) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٧ ، ص ٣٧٧ .

(١٠٣) كاتب الدست : تختص هذه الوظيفة بإعادة قراءة الاوراق على السلطان بعد قراءة كاتب السر لها ، وسمي بذلك نسبة الى مرتبة السلطان التي يجلس عليها لانهم يجلسون عنده للكتابة . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ١ ، ص ١٥٠ ؛ دهمان ، معجم الالفاظ التاريخية ، ص ١٢٧ .

(١٠٤) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ .

(١٠٥) السبكي ، طبقات الشافعية ، ج ١٠ ، ص ٥ .

(١٠٦) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ٣ ، ص ٣٢٠ .

(١٠٧) كاتب الدرج : نسبة للذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها ، ويشاركه في عمله كاتب الدست ، ويطلق عليه بالموقع . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٥ ، ص ٤٣٧ .

(١٠٨) المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٦٦ .

(١٠٩) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٣١٤ .

(١١٠) ناظر الجيش : وهي من الوظائف الجليلة وموضوعها التحدث في الاقطاعات بمصر والشام ، والكتابة بالكشف عنها ، ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه . القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣١ ؛ المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٩٥ .

(١١١) المقريزي ، السلوك ، ج ٣ ، ص ٢٩٤ .

(١١٢) المصدر نفسه ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ .

(١١٣) المقريزي ، درر العقود الفريدة ، ج ٣ ، ص ٧١ .

(١١٤) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١٥ ، ص ٥٥٢ .

(١١٥) إغاثة الامة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور كرم حلمي فرحات ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ط ١ (القاهرة : ٢٠٠٧ م) ، ص ١٤٥ .

(١١٦) ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: ١٩٦٩م) ،ج ٢ ، ص ٨٠ .

(١١٧) البرزالي ، المقتفي ، ج ٢ ، ق ٢ ، ص ١٠١ ؛ ١٧٠ .

(١١٨) ابن حجر العسقلاني ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ ؛ ينظر كذلك ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(١١٩) لابيدوس ، ايرامارفين : مدن الشام في العصر المملوكي ، نقله للعربية الدكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط١ (دمشق : ١٩٨٥م) ، ص ٢١٦ .

(١٢٠) ابن حجر العسقلاني ، انباء الغمر ، ج ٣ ، ص ٩٥ .

(١٢١) المقريزي ، الخطط ، ج ٣ ، ص ٦٨ .

(١٢٢) ابن عبد الظاهر ، محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت ٦٩٢هـ) : تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق الدكتور مراد كامل، مراجعة محمد علي النجار (القاهرة : ١٩٦١م) ، ص ٥٩ .

(١٢٣) إغاثة الامة ، ص ١٤٩ .

(١٢٤) ابن حجر العسقلاني ، رفع الاصر ، ج ١ ، ص ١١٩ .

(١٢٥) العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ) : السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق الاستاذ فهيم محمد علوي شلتوت ، دار الكاتب العربي (القاهرة : ١٩٦٧ م) ، ص ٢٧٠ .

(١٢٦) ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ، ج ٧ ، ص ٢٢٠ .

المصادر والمراجع

المصادر الاولية :

البرزالي ، القاسم بن محمد بن يوسف (ت ٧٣٩ هـ) :

المقتفي على كتاب الروضتين ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، المكتبة العصرية ، ط ١ (بيروت : ٢٠٠٦ م) .

ابن تغري بردي ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ) :

المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق أحمد يوسف نجاشي ، مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة : ١٩٥٦م) .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط١ مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة : ١٩٥٦م) .

ابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) :

انباء الغمر بأبناء العمر ، تحقيق حسن حبشي (القاهرة: ١٩٦٩م) .

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، تحقيق محمد سيد جاد الحق (القاهرة : ١٩٧٥ م) .

رفع الاصر عن قضاة مصر ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي (القاهرة: ١٤١٨ هـ) .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن ابراهيم (ت ٦٨١ هـ) :

وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر (بيروت : د . ت) .

السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ) :

طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، ط١ (القاهرة : ١٩٦٤ م) .

السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ) :

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار الجيل ، ط ١ (بيروت : ١٩٩٢ م) .

الصفدي ، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤ هـ) :

الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى ، دار احياء التراث العربي ، ط ١(بيروت : ٢٠٠٠ م) .

ابن عبد الظاهر ، محي الدين أبو الفضل عبد الله (ت ٦٩٢هـ) :

تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق الدكتور مراد كامل، مراجعة محمد علي النجار (القاهرة : ١٩٦١م) .

العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ) :

التعريف بالمصطلح الشريف ، مطبعة العاصمة (القاهرة : ١٩٨٥ م) .

العيني ، بدر الدين محمود بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ) :

السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ، تحقيق الاستاذ فهيم محمد علوي شلتوت ، دار الكاتب العربي (القاهرة : ١٩٦٧ م) .

القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) :

صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة : د . ت)

الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ) :

فوات الوفيات ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، ط ١ (بيروت : ١٩٧٤ م) .

المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ) :

إغاثة الامة بكشف الغمة ، تحقيق الدكتور كرم حلمي فرحات ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ط ١ (القاهرة : ٢٠٠٧ م)

درر العقود الفريدة في تراجم الاعيان المفيدة ، تحقيق الدكتور محمود الجليلي ، دار الغرب الاسلامي ، ط ١ (بيروت : ٢٠٠٢ م)

السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، ط١ (بيروت: ١٩٩٧م)

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية ، الناشر مكتبة الآداب (القاهرة : د. ت) .

النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) :

نهاية الارب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة : د. ت)

اليونيني ، أبو الفتح قطب الدين موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ) :

ذيل مرآة الزمان ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر أباد ، ط ١ (الدكن : ١٩٥٤ م) .

المراجع الحديثة :

دهمان ، محمد أحمد :

معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، ط ١ ، دار الفكر (بيروت : ١٩٩٠ م) .

لابيدوس ، ايرامارفين :

مدن الشام في العصر المملوكي ، نقله للعربية الدكتور سهيل زكار، دار حسان للطباعة والنشر، ط١ (دمشق : ١٩٨٥م) .